

الفروق السيكولوجية بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

—

ذكرت في المقالين السابقين آراء بعض الفلاسفة والمربين ومعلمي البيان في الفروق السيكولوجية ، وأشرت إلى أنهم طبقوا نظرية الفروق السيكولوجية في الحياة العملية . فقد بنى أفلاطون نظام التربية في المدينة الفاضلة على هذه النظرية ، كما وجه فيتو رينو دافلتري تلاميذه إلى الدراسات التي يصلحون لها بطبهم ، وأوصى روسو أن تترك لأميل حرية اختياره العمل الذي يتفق وميوله الفطرية

غير أن هؤلاء الفلاسفة والمربين قد استنبطوا آراءهم استنباطاً من الملاحظة العامة لتصرفات الأفراد وسلوكهم ، فلم تكن إذاً هذه الآراء علمية مبنية على التجربة والبحث الاستقرائي ، وذلك طبيعي لأن علم النفس ما أصبح علماً مستقلاً بالمعنى العلمي إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وأعني بذلك أنه اتبع في دراسة موضوعاته للتجربة والإحصاء والطريقة الاستنباطية Inductive method ذات الخطوات الأربع :

١ - ملاحظة الظواهر المختلفة للنوع الواحد في موضوع البحث

٢ - جمع التشابه من هذه الظواهر

٣ - اقتراح بعض الفروض لشرح هذه الظواهر وتعليلها

٤ - إجراء بعض التجارب لإثبات صحة الفرض أو الفروض

المفترحة

ولم يمتنع علماء النفس بموضوع الفروق السيكولوجية إلا في الربع الأخير من القرن الماضي . على أن دراسة الاختلافات البشرية بين الأفراد دراسة منظمة ، وقياس هذه الاختلافات ، وتحديد آثارها لم تنشط إلا في القرن العشرين

ويستبر فرانسيس^(١) جولتن أول من بحث موضوع الفروق

(١) Francis Galton ولد سنة ١٨٢٢ ومات سنة ١٩١١ صاحب البحوث القيمة وللؤلفات المصهورة في علم طبائع البشر (Anthropology) وفي علم إصلاح النسل البشري Eugenics

الفردية بطريقة منظمة Systematic مبنية على الإحصاء . ومن الحق أن نذكر أن دارون^(١) هو الذي مهد السبيل له - ولغيره ممن عُنوا بموضوع الفروق السيكولوجية الفردية - بنظرياته البيولوجية كنظرية النشوء والارتقاء ، ونظرية الوراثة في النبات والحيوان . وقد عاصر جولتن دارون وصدق بنظرياته . كان دارون ورأى المذهب ، وفي هذا يقول : « إن التربية أو البيئة لا تؤثر إلا قليلاً في عقل الأفراد ومواهبهم ، وأغلب صفات الأفراد وخواصهم وُلدت معهم »

اعتمد جولتن على نظريات دارون في بحوثه وبخاصة في علم إصلاح النسل البشري Eugenics الذي لم يسبق جولتن أحد إلى الكتابة فيه . فهو أول من وضعه . ويعرف هذا العلم « بأنه دراسة العوامل الاجتماعية والبيئية التي يمكن ضبطها ، والتي تؤثر بالإيجاب أو السلب في تحسين الصفات الجسمية أو العقلية للأجيال البشرية المقبلة » وتشمل هذه الدراسة دراسة الفروق السيكولوجية الموروثة ، وأثر البيئة في هذه الفروق . ويمكن إجمال رأي جولتن في أسباب هذه الفروق في عبارته « لقد أصبح من المؤكد أن الإنسان إما هو إنسان نتيجة لژنين : أولاً لما به من الصفات الأبوية والجنسية الموروثة ، وثانياً لما تحده في البيئة التي يعيش فيها »

وقد وقف جولتن حيانه وجهوده على دراسة الفروق الفردية بين أشخاص بذواتهم ، وأسرات بذاتها ، وهو يقول في مقدمة كتابه المسمى « بحوث في القوة البشرية^(٢) » Inquirissinto Human Faculty ما يأتي :

« كانت غايتي فيما قت به من بحوث أن أدرس القوى الوراثية المختلفة لأفراد مختلفين ، وكذلك أدرس الخصائص المختلفة لأسرات مختلفات وشعوب مختلفة ، وأن أعرف إلى أي حد يمكن أن نموض عن النقص الوراثي بعناصر تربية ، وقد فكرت

(١) Charles Robert Darwin ولد سنة ١٨٠٩ ومات سنة ١٨٨٢ وهو أشهر من أن يرف ، ونظرياته في طيمة الانسان ونشوءه شغلت عقول المفكرين في القرن التاسع عشر ، ولا زالت موضع جدال وبحث (٢) طبع لأول مرة سنة ١٨٨٣ م

أفكاره ، فقد استخدم الإحصاء والتحليل العلمي في طرق بحثه . وكانت نتائج العملية مبنية دائماً على عمليات رياضية ومقاييس حساية دقيقة . وقد اقتدى به في طرقه العلمية هذه خلفه الأستاذ كارل بيرس رئيس معمل جولتن بلندن الآن ، والأستاذ تشارلس سيرمان السيكولوجي الشهير

كان لجولتن أثر محسوس في إيقاظ الرغبة في بحث الفروق السيكولوجية بين الأفراد ، كما كان ذا نفوذ علمي كبير في توجيه علم النفس التجريبي ومقاييس الذكاء . وذلك بواسطة الاختبارات التي ابتكرها لقياس قوة الخيال ودقة الإدراك الحسي . ابتكر جولتن مقياساً به تعرف دقة تمييز الأفراد للأشغال المختلفة اختلافًا بسيطاً ، كما ابتكر الصغارة المعروفة « بصغارة جولتن » لقياس قدرة الأفراد المختلفة على سماع النغم العالي وتمييزه^(١) ووضع عدداً من الاختبارات لقياس قوة الشم والذوق واللمس وغيرها من الحواس

وكانت هذه المحاولات من جانبه لمعرفة الفروق الحسية بين الأفراد ترى إلى معرفة ما إذا كانت هناك علاقة تلازمية Correlation بين الذكاء وبين قوة الإدراك الحسي ودقته في نفس الفرد . ويؤيد ما نقول أنه كان دائماً يختار للبحث والقياس أفراداً بينهم تفاوت كبير في الذكاء . كان يختار عبقرياً Genius وضعيف العقل Feeble minded ثم يجري عليهما تجاربه في الإدراك الحسي ليعرف : هل هناك تلازم بين قوة الإدراك الحسي ودقته في الفرد وبين ذكائه أو غيابه

غير أنه لسوء الحظ وبالرغم من مجهوده العظيم ومحاولاته الكثيرة لم يجد تلازماً يذكر بين ذكاء الفرد وقوة إدراكه الحسي . وبالرغم من هذا نجد أن بحوثه وطرقه العملية كان لها أثر عظيم في كل ما أجرى من تجارب سيكولوجية حتى نهاية القرن التاسع عشر حين ظهرت مقاييس الذكاء التي وضعها السيكولوجي انرثي

الشهير ألفريد بينيه A. Binet

في أن من الواجب أن تقوم بهذا التعميض بقدر ما نسمع جهودنا وظروفنا . وبهذه الطريقة يمكننا أن نمجّل إسهال الجنس البشري وتطوره حتى لا يقاسى من انساب ما يقامى لو ترك شأنه يسير في تطوره الطبيعي »

وكان جولتن قد نشر سنة ١٨٦٩ كتابه « النبوغ الوراثي » Hereditary Genius . وبه كان أول عالم حاول دراسة أثر الوراثة في نبوغ الأفراد دراسة منطمة . وقد اتخذ في كتابه هذا منهجين علميين للبحث : أحدهما هو دراسة تاريخ الأسرة Family History Method ، والثاني طريق التلازم Correlational method . درس في كتابه هذا بناية حياة أفراد ٩٧٧ أسرة اشتهرت كل واحدة منها بوجود نابغة فيها في ناحية : في الشعر أو الكتابة أو السياسة أو الخطابة أو العلوم أو الفلسفة الخ ، كما درس أيضاً نوع المهن التي احترفها كل واحد من هؤلاء الأفراد ، وطبيعة هذه المهن ، ومقدار إنتاج الفرد في مهنته . ثم عالج ما وصل إليه من معلومات بطريقة إحصائية لا حاجة لذكرها هنا . ولكنه استخلص من هذه الدراسات أن إمكانية وراثة النبوغ في الأسرة التي بها نابغة تبلغ ١٣٤ مثلاً لإمكانية وراثة النبوغ في أسرة عادة . ومن هذه النتيجة يرى أن المواهب العقلية عند الأفراد موروثية ، وأن النبوغ الذي نجده بين عدد كبير من أفراد بعض الأسرات^(٢) لا يمكن أن يمزى إلى التربية والبيئة ، بل لا بد أن يكون نتيجة الوراثة . ولا شك أن الفارسي يلاحظ مما سقناه عن جولتن أنه من الأنصار المتصبين لمذهب الوراثة ، وأنه ينسب إليها كل الفروق السيكولوجية بين الأفراد . وما يؤثر عنه في كتابه (النبوغ الوراثي) قوله : « إن الأفراد الذين ميزوا أنفسهم في الحياة الاجتماعية لا يمكن أن يكونوا قد وصلوا إلى صرا كزهم المنافسة إلا بالواهب الطبيعية »

ولست قيمة أبحاث جولتن محصورة في النتائج التي وصل إليها ، بل إن الطريقة العلمية التي اتبعها في أبحاثه تعتبر بنت^(٣)

(١) كآسرة عبد الرازق وأسرة أباطة وأسرة برسات مثلاً

(٢) استعملت عبارة « بنت أفكاره » قاصداً ما يسمى بالفرنسية واللاتينية Original ولم أذكر بعد على كلمة في العربية تقابل اللفظة الفرنسية فهل من مقترح ؟ (الرسالة) : لعل كلمة (الأصالة) ومشتقاتها تنفي في ذلك

(١) تسمى بالانجليزية Galton Whistle

الكرة في وقت واحد؟ هل تستطيع أن تتخيل بوضوح تقاطيع الوجه لأقرب قريب لك (زوج أو أب أو أم الخ)؟ هل نسمع بمخيلتك صوت السيارة تمر تحت نافذة منزلك؟ هل يمكنك أن تتخيل حركة الفم والأسنان واللسان حيناً تنطق بكلمة «نحب» أو كلمة «وطن»؟ هل يمكنك أن تسمع بمخيلتك سنسقة المسافرين فوق الشجرة؟ هل تستطيع أن تشم بمخيلتك رائحة التبغ أو القهوة أو البرتقال؟ هل تستطيع أن تتخيل طعم الشكولاتة أو الليمون أو الكفتة؟

وهكذا وضع جولتن سلسلة من الأسئلة في أنواع الخيال الحسى المختلف، وقسم الأفراد إلى الأنواع السابقة كما قسم النوع إلى درجات تختلف من «قوى جداً» إلى «ضعيف جداً» باختلاف قوة الفرد على التخيل

عبد العزيز عبد الجبار

(بخت الرضا)

يقسم جولتن الأفراد إلى أنواع وفقاً لقوة خيالهم الحسى . فعنده النوع الإبصارى Visualiser ، وهو الذى يغلب عليه الخيال البصرى ، والنوع السمعى Audile ، وهو الذى يغلب عنده الخيال السمعى ، والنوع الحركى Motile وهو الذى يغلب عنده الخيال الحركى الخ . فالنوع الإبصارى مثلاً يفكر باستحضار الأشياء المرئية ، بينما السمعى يستحضر الصور الصوتية ، على حين أن الشئى يستحضر الصور الشئىة الخ ، ولكى يعرف أن فرداً ينبع للنوع الإبصارى أو السمعى أو الشئى مثلاً كان يجرى عليه تجربة كالآتية :

تصور أنك جالس فى الصباح على المائدة لتناول طعام الإفطار . تخيل بدقة المائدة التى أنت جالس عليها . هل الصورة الخيالية المرئية واضحة أو غامضة ؟ هل ألوان الأطباق والفناجين والأكواب والخبز واضحة أو غامضة ؟ هل تستطيع أن ترى بمخيلتك جانبى

شركة مصر للملاحة البحرية

ببواخرها الفاخرة وفنادقها الأنيقة

تسير بكم على بركة الله إلى بيت الله الحرام

وبنك مصر يؤدى لكم جميع الخدمات المصرفية ويتولى عنكم دفع الرسوم

نفذوا أهبتكم للحج هذا العام

جميع الاستعلامات من :

شركة مصر للملاحة البحرية وفروعها